النشـــــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ١٩٩٨/١
الأحد ٤ كانون الثاني
الأحد الذي قبل عيد الظهور
تذكار جامع للقديسين السبعين رسولاً
والبار ثاوكتيستس رئيس دير
قوموس في جزيرة صقلية
اللحن الرابع
إنجيل السَحَر السابع

الـــرســـالـــة (٢ تيموثاوس ٤ : ٥ – ٨)
الإنـــجـــيـــل (مـــرقـــس ١ : ١ – ٨)

+ الظهور الإلهي

تعيّد الكنيسة المقدسة في السادس من كانون الثاني لحدث مهم في حياة الرب يســـوع الأرضية هو معموديته على يد يوحنا المعمدان. هذا الحدث الذي يعلن الانطلاقـــة الرســـمية لمهمته الإلهية يشكّل أول ظهور واضح للثالوث في الكتاب المقدّس: صوت الآب، الإبن فـــي الماء، والروح بهيئة حمامة.

الكلمة اليونانية المستعملة لهذا العيد هي Epiphany وتعني الظـــهور او الإعـــلان.

الكنيسة الأولى كانت تحتفل في هذا اليوم بثلاثة أمور: ميلاد يسوع المسيح أي تجسد الكلمة، معمودية يسوع أي بلغتنا البشرية تكريسه، وظهور الآب والروح القدس وبالتـــالي ظـــهور الثالوث وإستعلانه للجميع.

لقد عاشت الكنيسة الأولى حدث معمودية يسوع وظهور الثالوث بكل ورع وتقوى وبشكل خاص في عصر الاضطهادات. مع انتهاء الاضطهاد في القرن الرابع تطوّر فحوى عيد الظهور وسُمّي عيد الأنوار. ويبدو ان بداية الاحتفال بالظهور الإلهي سببها عادات الغنوسيين أي العرفانيين الذين كانوا يشدّدون على أن خلاص الإنسان يكون بالمعرفة أكثر منه بالإيمان والأعمال. وكان هؤلاء يحتفلون في السادس من كانون الثاني بعيد ميلاد أيون Aeon ، إله الإسكندرية وشفيعها. وقد اعتبروا ان المسيح هو أحد الايونات في نظامهم.

قررت الكنيسة الاحتفال بعيد الظهور الإلهي، أي ظهور الثالوث الأقدس عند الاحتفال بذكرى معمودية يسوع لكي تحمي إيمان أبنائها من احتفالات الغنوسيين الباطلة. يرجح ان يكون القديس اثناسيوس ألاسكندري (+ ٣٣٦) هو الذي أدخل هذا العيد الى بلاد الغال. ويذكر أحد المؤرخين الرومان الوثنيين (Ammianos Macellinus) ان الأمبراطور يوليان الجاحد شارك حوالي العام ٤٠٠ في هذا العيد في بلاد الغال.

كان الشرق المسيحي يحتفل بعيدي الميلاد والظهور الإلهي في ٦ كانون الثاني وما زالت الكنيسة الأرمنية محافظة على هذا التقليد حتى أيامنا إذ تحتفل بميلاد المسيح مساء الخامس من كانون الثاني وبالظهور الإلهي وتقديس المياه في السادس منه.

في القرن الرابع تم فصل العيدين وصارت الكنيسة تعيّد لميلاد المسيح في الخامس والعشرين من كانون الأول يوم التعييد لعيد الشمس الوثني. وقد ميّز القديسان باسيليوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتي (القرن الرابع) بين العيدين فسميا الأول اي الميلاد Theophany أي ظهور الإله والثاني أي الظهور الإلهي Epiphany. وقد حافظت الكنيسة على تسمية الظهور الإلهي لذكرى معمودية يسوع لكي تحافظ على إيمان أبنائها وتحميهم من عقائد الوثنيين. وقد سُمي أيضاً ''عيد الأنوار'' لأن الموعوظين المستعدين للإستنارة، كما كتب آباء الكنيسة ومنهم القديسون أفرام السرياني ويوحنا الذهبي الفم وغريغوريوس اللاهوتي، كانوا يأتون عشية العيد الى الكنيسة لاقتبال المعمودية. وكما نعرف، فاليوم الليتورجي يبدأ عند الغروب، لذلك مازلنا نقيم، حتى اليوم، خدمة تقديس المياه يوم ''برامون الغطاس'' أي عشية الظهور الإلهي (٥ ك٢). في هذا اليوم كان آلاف الموعوظين يقصدون الكنيسة لإقتبال المعمودية، حاملين المشاعل رمز استنارتهم بنور الثالوث. من هنا تسمية العيد ''عيد الأنوار''. مع انتشار معمودية الأطفال بطلت عادة المعمودية مساء العيد وبقي طقس تقديس المياه. من هذه المياه المقدسة كان المؤمنون يأخذون لرش منازلهم وتبريكها.

في أيامنا نقوم بتقديس المياه يومي الخامس والسادس من كانون الثاني. ومن عادات عيد الظهور الإلهي عند بعض الشعوب في أوروبا الشرقية أن يحمل المؤمنون معهم شموعاً مضاءة من الكنيسة الى منازلهم ويرسموا بنور الشمعة علامة صليب على عتبة منازلهم دلالة على تبريك المنزل وكل من سوف يدخل المنزل سيمر تحت علامة الصليب فيتبارك.

+ تأمل

سأتلمذكم للكلمة، وسأعمّدكم باسم الآب والابن والروح القدس. أما الاسم الجامع المشترك للثلاثة فهي الألوهة. وستتعلّمون بالكلمات والحركات أنكم تطرحون كل إلحاد وتنتظمون دفعة واحدة في صف الألوهة. آمنوا ان العالم كله المنظور وغير المنظور أوجده الله من العدم وأنه يُساس بعناية من عنده ويُوجّه الى الأفضل. وآمنوا انه لا يوجد أصل للشر من صنع الله (حاشا) وانما الشر منا ومن الشرير. هو ما دخل فينا بسبب إهمالنا وعدم احتراسنا، وليس لله علاقة به. آمنوا أيضاً ان ابن الله، الكلمة الازلية الذي هو مولود من الآب بدون جسد ولادة أزلية، هو نفسه صار ابن البشر وتأنس في الأيام الأخيرة من مريم العذراء بحال لا توصف، ولا يعبر عنها، وانه هو نفسه صار إنساناً كاملاً مع الله الكامل لكي يوُهَب لك الخلاص كل الخلاص، بفتحه لك طريق الخلاص وحل عقدة الخطيئة. هذا الذي هو غير متألم بطبيعته الإلهية صار متألماً بالطبيعة التي اتخذها. تنازل الى درجة البشرية حتى ترتفع أنت الى عتبات الألوهة. اقتيد الى الموت ومات مصلوباً ودُفن ليذوق الموت، وقام في اليوم الثالث. وبعد قيامته صعد الى السموات لكي يصعدك أنت القابع أسفل. وسيأتي أيضاً بالحضرة الإلهية الممجدة ليدين الأحياء والأموات. ولن يأتينا متجسداً ولا بغير جسد، بل بجسدٍ من نوع إلهي، بحال يعرفها هو، وبشكلٍ يعرفه به الذين صلبوه وقتلوه، وسيبقى على كل حال إلهاً غريباً عن كثافة اللحم والدم. فآمن أنت يا هذا بالقيامة والدينونة والمجازاة العادلة من عند الله. وافهم هذه المجازاة على انها نور للمطهّرين في أذهانهم أعني أنهم سيرون الله وسيعرفونه كل واحد على قدر الطهارة التي هو فيها، وهو ما نسميه الملكوت السماوي، وأفهم ايضاً ان العقاب انما هو ظلمة للذين عموا وضلّوا عن جادة الحق والصواب. أي تغرب عن الله بنسبة ما عندنا هنا من العمى. إقبل واعمل الصلاح على هذا الأساس العقيدي لأن ''الإيمان بدون عمل هو إيمان ميت كما أن العمل بدون إيمان ميت''. هوذا قلت لك كل ما اعتلن لنا من الأمور السرية التي تبينَ رشدها في اذهان الداخلين في

السر. اما الأمور الباقية فردّها الى الله وسيُفضى إليك بسرها، وتعرفها من الثالوث الأقدس. وستحفظها داخلك مختوماً عليها بختم.

القديس غريغوريوس اللاهوتي